صناعة المخط وط العربي بالمغرب الإسلامي

أ/ خبيزي محمد
جامعة تلمسان

تمهيد

المخطوطات هي ذلك التراث الديني والعلمي والأدبي الذي خلفه لنا العقل العربي الإسلامي مكتوبا، وهي لنا بمثابة بنك معلوماتي لشتى العلوم نعتمدها مصادر في البحوث، وقد تطور الكتاب – المخطوط – من شكله الوظيفي الساذج البسيط إلى صناعة فنية لها من القيمة الجمالية التي تضفي على القيمة المعنوية الفكرية الكثير من المميزات، والمعروف أن قيمة الكتاب لدا أي مجتمع من المجتمعات هي التي تحدد المستوى الثقافي لذلك المجتمع، والمجتمع الإسلامي شأنه شأن المجتمعات الأخرى ويفوق، ومرجع هذا القول إلى ما جاء في الدين الإسلامي من الحث على طلب العلم في كثير من الآيات من الذكر الحكيم، وهو أول كتاب اهتم به المسلمون، ثم دون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ هو الآخر اهتماما كبيرا، وهكذا بدأت تتكون مكتبة إسلامية على قاعدة دينية في البداية، لتشتمل على مختلف العلوم الدينية والدنيوية التي كانت تدرس، وقد استعمل المسلمون مواد بدائية طبيعية في بداية عهدهم بالتدوين حتى دخول المادة التي أخذت رواجا كبيرا وحلت محل كل المواد القديمة وهي الورق، وقد كان لدخول المسلمين الى بلاد المغرب الفضل الكبير على مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعقائدية والسياسية والعلمية، وأخذت بلاد المغرب هي الأخرى نصيبها من العلوم والآداب والقصص والتاريخ وعلوم الدين، فاجتهد المغاربة أيضا في التدوين وفي صناعة الكتاب الذي تطور على مر الزمن من كونه بسيطا بين دفتين الى كتاب له من القيمة الجمالية والفنية الزخرفية ما أهله ليكون تحفة تضاهي الكتاب المصنوع خارج بلاد المغرب.

1 - أدوات صناعة المخطوط

لقد عرف المخطوط تطورا كبيرا عبر مراحل مختلفة حسب الزمان والمكان الذي صنع فيه، فاختلفت الأدوات التي كتب علها والتي استعملها في الكتابة والمواد التي كتب بها، فقد كتب الإنسان على ألواح من الطين باستعمال الأزاميل،

وكتب على سعف النخيل وأوراق البردي وجلود الحيوانات بأحبار تقليدية، حتى جاء ظهور الورق وصناعته في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة مما أعطى للمخطوط شكلا موحدا يختلف فقط في الحجم والجانب الفني فيه، وسنتتبع هنا مراحل تطور المواد التي كتب عليها المسلمون، وما هي الأدوات التي استعملها في صناعة المخطوط الإسلامي بصفة عامة.

وقد عرف **المخطوط أنه كل كتاب لم يتم طبعه، ولا يزال بخط مؤلفه أو ناسخه، سواء كان عقدا أو رسالة أو كتابا أو وصية وما شابه ذلك**، فهو ذلك الكتاب (المدون، الوثيقة) المكتوب بخط اليد من بدايته إلى نهايته والمتضمن في رقعة واحدة أو صحف عديدة بين دفتين، والمعبر عن موضوع من الموضوعات سواء كان مكتوبا بيد المؤلف ذاته أم كان نقلا عنه بالإملاء، أو السماع، وإن كان المؤلف المكتوب بيد صاحبه أجدر وأوثق، ويكون ذلك من غير زيادة ولا نقصان[1].

أ/ أشهر المواد التي كتب عليها المسلمون:

لقد كتب المسلمون في بداية العهد على العظام والطين وسعف النخيل لكن هذه المواد لم تدم طويلا وكانت عرضة لكل عوامل التلف وبساطة ضياع ما فيها لتعرضها حتى لأبسط العوامل منها ولأهمية ما كان يدون وضرورة التدوين والحفظ حتم على المسلمين اتخاذ مواد للكتابة تحفظ أطول وقت من المواد التي استعملوها وخوفهم على ضياع ما يكتب من علوم، ولاحتكاكهم بالمجتمعات المجاورة سواء عن طريق التجارة أو الفتوحات اكتشفوا واكتسبوا مواد أفضل من سابقتها قد تضمن لهم المزيد من الوقت لمؤلفاتهم ومدوناتهم وكتبهم وأسفارهم، فجلبوا مواد للكتابة عليها أهمها:

1 - الرق:

وهو الجلد الذي يكتب فيه، وقد وردت له ثلاثة أسماء وهي الرق والأديم والقضيم وهو الجلد الأبيض الذي يكتب فيه[2]، ويقال للجلد الأحمر المدبوغ الأديم، والقضيم هو الجلد الأبيض، وجاء ذكر الرق في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**والطور وكتاب مسطور في رق منشور**﴾[3]، وقد استعمل المسلمون الرقوق للكتابة، فالرسائل التي أرسلها النبي إلى الملوك المحيطين بالجزيرة كهرقل وكسرى والمقوقس والنجاشي وإلى ملوك العرب في الجزيرة وخارجها كالغساسنة بالشام

وملوك البحرين وعمان واليمن، هي رسائل كتبت على الرق... وقد وصلت إلينا من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهي أربع وثائق مكتوبة على الرق، وهي رسائله إلى المنذر بن ساوى، والنجاشي، وكسرى، والمقوقس.[4]

وقد ساد استعمال الرق ببلاد المغرب كذلك لتوفره وعدم توفر البردي الذي كان يجلب من الشرق، وإذا كان من خواص الرق قدرته على البقاء الطويل، فإن من أهم عيوبه إمكانية محو ما فيه وإعادة استخدامه مرة أخرى[5]، أي أنه قابل للتزوير والزيادة والنقصان، وبقي الرق سائدا في جميع الأقطار إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، أي إلى الخلافة العباسية، هذا عن المشرق أما ببلاد المغرب فقد بقي إلى غاية القرن الرابع الهجري حيث بدأ التخلي عنه.

2 - البردي:

تشير المصادر التاريخية إلى أن المصريين القدماء عرفوا البردي وصنعوا منه أوراق الكتابة وهم الذين نشروه، وقد كانت أوراق البردي تصنع على هيئة لفائف يبلغ طول الواحدة منها ثلاثين ذراعا وأكثر في عرض شبر[6]، وقد استعمل المسلمون البردي في العصر المبكر، ووصلتنا من زمن الخلفاء الراشدين مجموعة وثائق صحيحة، يرجع تاريخها إلى زمن عمر بن الخطاب (13- 23هـ)، وأقدمها يرجع إلى سنة 20 هـ (640م)، وأخرها يرجع إلى زمن خلافة علي ابن أبي طالب سنة 40 هـ **(660م)**[7]، وبقي استعماله إلى العصر الأموي وصنعت منه دفاتر الدواوين ومراسلات الولاة وحتى في مكاتبات العامة من عقود البيع والوصايا وغيرها، وتواصل استعماله إلى بداية العصر العباسي.

3 - الورق:

الورق بفتح الراء اسم جنس يقع على القليل والكثير، واحدة ورقة وجمعها أوراق وورقات، ومنه كان اسم المشتغل به وراقا، ويسمى أيضا الكاغد بفتح الغين أو كسرها، وأحسن الورق ما كان ناصع البياض جيد الصقل متناسب الأطراف والزوايا[8]

والمعروف في التاريخ أن أهل الصين هم أول من عرف صناعة الورق، وكان التجار العرب يستوردون (الورق الصيني)، وكانت صلتهم ببلاد الشرق الأقصى قديمة[9]، إلى أن فتح المسلمون سمرقند، فتعلم العرب من الأسرى الصينيين هذه

الصناعة وبرعوا فيها واشتهر فيهم الكثير من الوراقين، واتخذ المسلمون العديد من دور الوراقة وكان أولها في مدينة بغداد، فبدأ يحتل مكانة ما سبقه من مواد لسهولة استعماله وجودته وخفته.

ب/ أدوات ووسائل الكتابة

1- الأقلام:

القلم هو الأداة التي يكتب بها، وقيل أنه سمي قلما لاستقامته[10]، وهو قصبة تقط وتقلم وتبرى، وقد يتخذ القلم من السعف أو الغاب، وقد يستعملون ريش الطيور للكتابة، كل ذلك يغمس في المداد يكتب به، وجمع القلم أقلام وقلام، وجمع أقلام أقاليم[11]، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿**اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم**﴾[12]، وقد وردت في موضع آخر بصيغة الجمع قال تعالى: ﴿**ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله وإن الله عزيز حكيم**﴾[13]، ومنذ العصور القديمة قبل الإسلام وحتى عصر قريب كانت الكتابة بقلم القصب، وحتى مع استحداث أقلام الحبر وريشة المعدن وغيرها، وظل قلم القصب صالحا للكتابة، وبخاصة في الخط، فالخطاطون مازالوا يخطون بالقصب أجمل خطوطهم، والقصب يصلح للكتابة على كل أداة سواء ما كان منها خشنا غليظا كالحجارة والخشب والنحاس، أو كان ناعما لينا كالقرطاس والمهرق والأديم والورق[14]،والأقلام إذا كانت مستوية جاء الخط خفيفا غير مليح، وإذا كانت محرفة جاء الخط ضعيفا ضاويا، فأحسنها وأجمعها لخصال الجودة المتوسط بين الطول والقصر والرقة والغلظ، والتحريف والاستواء، والمحرف والمبطن أشبه بخط الورق والدفاتر بالحبر، وأما غيرهما فلا يحتمل ذلك، وأحمد الأقلام ما أذهق من جانبي وسطه حتى تكون القطة أعرض قليلا مما قبلها، وطول سنه في مقدار الإبهام، وأفسدها ما زاد على ذلك أو قصر عنه، وإذا أردت القط فضع السكين على الأنبوب مستويا، وتكون يدك لا يمينا ولا شمالا، ولا معوجة ولا منقلبة، لكي ما تعمد قليلا الى الانحراف باليد اليمنى التي تقبض على السكين لكي تقطع تمد السكين على الانبساط، لا قائمة الحرف فينثلم القلم ويتشعب، وضعها متوسطة لتسلم حافتي القلم، ثم تنحت قليلا قليلا على مهل كنحت الخلال [15]، وقد تطور القلم بتطور الخط العربي ونموه وتنوعه فاختلفت الأقلام في المقاسات

فعرض قلم الطومار 24 شعرة، وقلم الثلثين 16 شعرة والنصف 12 شعرة... وقد أشاد الخطاطون في وصف القلم وحسنه وبريه وحجمه ومواصفاته شعرا ونثرا، كما اختلفت مادة صناعته بين القصب والخشب والعظم وريش الطيور.

2- الدواة:

الدواة هي المحبرة التي يوضع فيها الحبر وتتخذ من أجود العيدان وأرفعها ثمنا كالابنوسوالساسم والصندل وقد تعددت أنواعها وأشكالها [16]، وقد يفرق بينهما، والقلقشندي يجعل الدواة أعم من المحبرة، وجعل المحبرة بمحتوياتها الثلاثة: الجونة، والليقة، والمداد، آلة من الآلات التي تشتمل عليها الدواة [17]، ويكون مقدارها طول الذراع وأقل قليلا، وتكون واسعة البطن مما تسع خمسة أقلام الكتابة [18]،وكانت تصنع من الخشب أو المعادن كالنحاس ومن الفخار، وقد اختلفت أشكال الدواة بين المربعة والمستديرة وحبذت منها الثانية لما للمربعة من عيوب كبقاء المداد في الزوايا مدة طويلة قد تغير لونه ويصبح غير صالح للكتابة لتغير ريحه ولونه وقد يتخمر إذا طال بقاؤه في الدواة،، وقد شاع استعمال الدواة المستديرة في بلاد المغرب أكثر من المربعة.

3- المداد والحبر:

سمي المداد مدادا لأنه يمد القلم ويعينه بالاستمداد، كما سمي الزيت مداد السراج يمد به، وكل شي يمد به الليقة مما يكتب به فهو مداد[19]، وقد ورد ذكر المداد في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا**﴾ [20]، وأما الحبر فأصله اللون، وأثر المداد في القرطاس[21]

وقد عرف العرب من الحبر نوعين أحدهما كان يسمى الحبر المطبوخ أو الحبر الرأس ويتصف بالبريق واللمعان ويناسب الكتابة في الرقوق، وثانيهما حبر الدخان الذي كان يناسب الورق ولا يصلح لأن يكتب به في الرقوق لأنه قليل اللبث فيها، سريع الزوال عنها [22]، ثم تطورت الأحبار وتنوعت بتنوع مادة صناعتها منها ما كان من مواد نباتية ومنها مواد حيوانية وحبر من مواد معدنية لتزيين الكتب كالذهب والنحاس. وقد كان اللون الأسود في المداد أكثر رواجا من الألوان الأخرى، وصناعته أيسر من صناعة الحبر الملون الذي يحتاج إلى مواد كيمياوية لم تكن

متوافرة أو ميسورة لديهم في الزمن الأول [23]، ولازالت بعض الأحبار الى يومنا هذا تصنع من المواد الطبيعية لسهولة تناولها كالحبر الذي يصنع من الصوف دون غسله أو تنظيفه فيحرق حتى ييبس ويوضع في الدواة ويوضع عليه القليل من الماء ما يناسبه من الكمية، وكذلك منها ما يجلب من لب بعض الأشجار الكبيرة المعمرة فيجلب جاهزا ويدق ويخلط بالماء في الدواة.

هذا عن أهم الأدوات بالإضافة إلى مجموعة من الوسائل الملحقة التي يستخدمها الكاتب أو الناسخ تعينه على عمله الشريف ومن بينها الملواق والمقلمة والمقط والممسحة والمسطرة. ...

2 - تجليد وتذهيب المخطوطات

أ/ تجليد المخطوط

لقد وجدت حرفة التجليد عند المسلمين منذ فجر الإسلام، وكان القرآن الكريم هو أول كتاب يقوم المسلمون بتجليده[24]، فاستعمل المجلدون في أول الأمر لوحين من الخشب جمعت بينهما أجزاء القرآن كلها أو بعضها، والمضنون أن الفنان المسلم لم يدع هذه الألواح عاطلة من الزخرفة بل زخرفها وربما غلفها بالقماش والجلد [25]، فقد جاء في حديث محمد بن علي (ابن الحنفية) حينما حاول المختار بن عبد الله الثقفي أن يدعو الناس إليه قبل قيام الدولة العباسية قال: "**والله لم نرث من رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ما بين هذين اللوحين**" وقصد بذلك القرآن الكريم، وقد بقي سائدا في العصر الأموي بهذه الطريقة أي وضع الكتاب بين لوحين للحفاظ عليه، ثم خطا المجلد المسلم خطوة إلى الأمام حين غلف ألواح الخشب هذه بشرائح من الجلد، وتعد هذه المرحلة بداية لفن التجليد عند المسلمين[26]. وتجمع الكثير من المراجع على انه تقليد قبطي، وأقدم الأغلفة الخشبية التي وصلت ألينا يرجع تأريخها إلى القرن الثاني الهجري، من أشهرها غلاف في متحف برلين حيث صنع هذا الغلاف من خشب الأرز المطعم بقطع من عاج وعظم وخشب مختلفة ألوانها مثبتة بمادة لاصقة. [27] هذا عن العصر الأول من العهد الإسلامي، وقد عثر بمدينة القيروان على مجموعة كبيرة من الأغلفة التي تعود إلى هذه الفترة، إذ اكتشف كل من مارسايوبواسو قبل بضع سنوات في أحد المخازن الواقعة في الجانب الشمالي من ساحة المسجد الجامع في القيروان مجموعة من أغلفة كتب، بعضها على هيئة صندوق وبعضها الآخر على

هيئة غلافات عادية... ويقوم التصميم العام في زخرفتها على متن وإطار ووجد أن معظم هذه الأغلفة مزودة برزات معدنية. وأهم مميزات أغلفة هذه الفترة[28]:

- يزدان متن الغلاف بحشوة مستطيلة الشكل يزينها شريط على هيئة ضفيرة مكونا ثلاث نجوم
- إطار خارجي على شكل ضفيرة تتخللها حبات لؤلؤ
- احتواؤها على أشكال هندسية كالمربعات والدوائر والمعينات
- استخدام أكثر من شريط من الضفائر على خلاف التجليد المصري الذي استخدم شريط واحد فقط
- استخدام الزخارف الكتابية منفذة بخط كوفي بسيط
- الطبع على الجلد باستخدام آلة محماة

ثم جاءت الخطوة الثانية في فن التجليد عندما استبدلت ألواح الخشب بصفائح البردي، وكانت هذه البرديات تستخدم عادة في تغليف كتب صغيرة الحجم، أما الكتب الكبيرة فقد ظل الخشب يستخدم في تغليفها زيادة في الحفظ والصون، ولا يستبعد قيام الفنان بمحاولة تغليف الكتب الكبيرة بالبردي[29]، ومع القرن الرابع والخامس الهجري أدخل المسلمون صناعة الورق، وظل الرق مستعملا في المناطق التي لم يكن ينبت فيها البردي، كالمغرب التي بقي فيها استعمال الرق إلى ما بعد القرن الرابع حتى وصول الورق...، وانتقلت صناعة الورق من المشرق إلى المغرب، وصارت له صناعة في مراكش وجزيرة صقلية والأندلس[30]، ومع هذا التطور في مادة صناعة الكتاب وتحوله من الرق إلى الورق، طرأت على الغلاف الكثير من التغيرات من الجانب الزخرفي وظهرت الزخارف النباتية والهندسية منفذة واستعملت الألوان على الغلاف، وأصبحت الزخارف بارزة على أرضية الغلاف، بالإضافة إلى أهم ميزة وهي إحداث عنصر جديد على التغليف وهو اللسان، وأهم ما يميز هذه الفترة:

- استعمال الورق في الغلاف بمصر وذلك بجمع ورقات عديدة وتغليفها بالجلد
- ظهور الشكل الجديد للكتاب وهو الشكل العمودي
- تزويد الغلاف باللسان
- استخدام الألوان على الأغلفة

- تطور في المنظومة الزخرفية وظهور عنصر جديد وهو الحلزونات
- أهم ما ميز هذه المرحلة بالمغرب هو ظهور كتاب " عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب" وهو لمؤلف مجهول، وفيه باب خاص بفن التجليد طرقه وتقنياته ومواده، وهو دليل على اهتمام كبير بصناعة الكتاب ببلاد المغرب[31].

ثم تطور فن التجليد خلال القرن السادس تطورا ملحوظا وقد وصلنا الكثير من هذه المرحلة، فقد وصل إلينا مجموعة من جامع القيروان عددها 71 غلافا ترجع إلى القرنين السادس والسابع الهجري وهي معروضة بمتحف باردو، بالإضافة إلى غلاف آخر من مراكش عثر عليه بين مجموعة الكتب الدينية التي وجدت في جامع الكتبية وهو محفوظ بالمكتبة العربية الخاصة بمدرسة بن يوسف المراكشي، بالإضافة إلى مجموعة من الأختام التي كانت تنفذ بها الزخرفة على الجلد مختلفة الأحجام، وفي هذه الفترة ظهر التذهيب خاصة على المصحف، وأهم مميزات هذا العصر:

- التخلي عن التجليد بالألواح
- استعمال الورق المقوى في التجليد
- ظهور التذهيب في التجليد
- عدم ترك الفراغات على أرضية الغلاف وتعدد المواضيع الزخرفية وظهور الإطار البارز المحيط بجوانب الغلاف
- استخدام صفائح رقيقة من الذهب والفضة بهيئة الأزهار أو النجوم مختومة على الجلدة بآلة ساخنة.

وقد عرف خلال القرن العاشر الهجري بعض الإضافات كاستخدام الزخارف المفرغة أو المخرمة الناتجة عن القطع[32]، بالإضافة إلى ظهور التجليد التركي الذي كان مشابها للأغلفة الفارسية خاصة في المصاحف السلطانية.

وعن المواد التي يحتاجها في عملية التجليد بألفاضها المغربية فقد فصل فيها أبي عمرو بكر بن إبراهيم الإشبيلي حيث يقول: "يحتاج المسفر من الماعون الذي لابد منه: المقراض، والمقدة، والملزم، وحجر المسن، وحديدة قوية مهيأة لشد الملزم وحله، ولابد له من ملزم مفرد يختص بالتسوية فقط، والإشفى والمحط، والاترة، عند حبكه للمصاحف الملوحة، ويحتاج الثقيل ويسمى الخفيف، ومدلكا بما يدلك البطاين، ويحل الزعفران أيضا عند صبغ البطاين، وبعض المسفرين

يدلكونها بكرة من خشب مهيئة لهذا النوع...، ولابد له من إشفى رقيق لخرز الأقربة وغيرها إن كان المسفر ممن يخرز، وكذلك يحتاج سكينا للتسوية،،، ويحتاج لوحين فيما يتخت الأسفار حين تبطينها، ولابد من الرخامة وهي قطب هذه الصنعة، ويحتاج منشارا ومملسة ومضلفا ومثقبا بما يحاول ألواح المصاحف...، ولابد من المطرقة والمقطع بما يسمر الحلية في المصاحف وبما يقلعها أيضا من الألواح البوالي، ومما يحتاج إليه أيضا حديد النقش، الملسة، ويقال لها أيضا المصقلة والمشطب والركمن والطريقين واللوزة والعشر وعشر لنزول الذهب منقوش الوسط أو غير منقوش، ومجوابا لقطع الذهب، وصحيفة ينقش عليها ويحتاج من الطوابع ما أسميه لك: الورقة، والمشعار، وطعمته، والمضربة، والقمحة، واللمليمات، والسفط، والمربعة، والعقدة، وظهر القلبق، وهذه كلها أسماء حديد...، ويحتاج قبطالا وهي المسطرة، وضابظا وحجر البركان وهو الذي تعدل به التسوية، وثلاثة أقلام من العود مخروطة لعمل المجمع ولا بد من حديد الضرس وهي سبعة...، بالإضافة إلى الأغربة[33].

3 – الوراقة

اعلم أن الصناعات في النوع الإنساني كثيرة، لكثرة الأعمال المتداولة في الأمصار، فهي تشذ عن الحصر، ولا يأخذها العد، إلا أن منها ما هو ضروري في العمران، أو شريف بالموضوع، أو ممتهن في الغالب، فأما الضروري فالفلاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياكة، وأما الشريفة بالموضوع: فكالتوليد والكتابة والوراقة... [34]، والوراقة هي عملية النشر والتحقيق بكل ما تستتبعه من تصحيح وتجليد وتوزيع، أما حوانيت الوراقين فكانت تقوم مقام دور النشر في عصرنا هذا، وكانت تقوم إلى جانب ذلك بما تقوم به المكتبات الآن من بيع الورق والأدوات الكتابية كالمداد والأقلام، وكانت متمركزة في المراكز الحضارية[35].

وقد كانت التسمية الأولى للوراقين "المصحفيين" نسبة الى نسخ المصاحف، ثم توسع المصطلح عندما انطلق الناس الى العلوم الأخرى والآداب ينسخونها ويورقونها، فكانت من المناسب أن ينتقل المصطلح من المصحفيين الى الوراقين لتكون الكلمة اصطلاحا محايدا يتحمل المحاسن والمساوئ التي قد تلحق أي مهنة من المهن دون نسبتها الى المصحف ذي القداسة التي ينتظر تطهيرها من

السوءات[36]، والذي يحتاج اليه ملتمس هذه الصناعة، سرعة الفهم، وجودة النظر، وحلاوة اليد، وترك السرعة والتثبت، والتأني وحسن الجلوس، وملاحة الاستمالة، وحسن الخلق[37].

وقد كان لعرب المغرب في الأندلس وافريقية الشمالية بهذه الصناعة اهتمام كبير وعناية تامة، فبلغت الى غاية الكمال من التحسين والتنجيد، وأصبحت ذات طابع خاص يميزها عن شقيقتها في المشرق... ولعل أبلغ ما يصور الرقي الذي وصلت اليه هذه الصناعة في المغرب هو ما عمله الخليفة الموحدي الأول عبد المؤمن بن علي في تحلية المصحف العثماني وكان قد وصله هدية من أهل قرطبة، فاحتفل لقبوله بمراكش احتفالا عظيما، وصنع له خزانة وأغشية محلاة بالذهب والفضة ومرصعة بأنواع الياقوت والحجارة الكريمة مما لا كفاء له في الحسن والقيمة[38].

وقد اعتنى المغاربة بهذه الصناعة وأفردوها بالتأليف ومن المؤلفات المفردة المنثورة التي وصلت الينا "**التيسير في صنعة التسفير**" لأبي عمرو بكر بن ابراهيم الإشبيلي (ت 629 ه)، و"**صناعة تسفير الكتب وحل الذهب**" الذي ألفه الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد السفياني سنة 1029ه و"**كيفية تسفير الكتب**" للقاضي عبد العزيز ابن ابي بكر الرسموكي (ت1065ه)، وأما المنظوم في صناعة التجليد فلم يصل الينا منه نظم تام إلا "**تدبير السفير في صناعة التسفير**" لعبد الرحمان بن أبي حميدة[39].

ومن أهم مميزات الكتاب – المخطوط - المغربي هو الخط الذي تميزت به بلاد المغرب الاسلامي فهو الصفة والخاصية الجلية التي بها نميزه عن غيره دون تعمق في الدراسة، فقد تمكن المغاربة من تأسيس أنساق فنية لها خصوصيتها التي تتلاءم مع الخصوصيات الثقافية والفنية والجمالية لهذه المنطقة، فظهرت الخطوط المغربية متميزة عن المشرقية، وتطورت حتى أصبحت ذات طابع فني رائق، ومن خصائصها ما تتمتع به من مرونة وطواعية وقدرة على التشكيل وفق الأشكال الهندسية المختلفة والاندماج في بنيات متشابكة ومتداخلة، وقد أصبحت لها وظيفة تزيينية كما هو الشأن في المخطوطات والكتابات التذكارية بالآثار المختلفة التي تعود الى مختلف العصور بالمغرب والأندلس...، ومن أهم مميزات

الخط المغربي الجمالية والانسجام والتناغم والتجريد والغنى والتنوع والليونة والانسيابية والحرية التشكيلية[40].

خاتمة

وختاما يمكننا القول أن بلاد المغرب لم تكن في منأى عن الحركة العلمية والفكرية في مختلف المراحل رغم ما كانت عليه من ظروف سياسية، فقد شارك علماء المغرب في شتى العلوم والميادين الأدبية والدينية والعلمية باجتهاداتهم ومؤلفاتهم وأسفارهم، ولم يكن من الضروري عليهم نقلها الى بلاد المشرق لتدوينها وتسفيرها بل حتم ذلك عليهم الاعتماد على ما جادت به أفكار المسفرين وأصحاب دور الوراقة المغاربة، هؤلاء هم الذين خلفوا لنا هذا الكم الهائل من المخطوطات المغربية التي غالبا ما يميزها الخط المغربي، وإن كنا لا ننكر بعض التأثيرات المشرقية على الكتاب العربي المغربي، إلا أن خامته في مجملها محلية بمكوناتها، إلا ما كان منها مستوردا لانعدامه ببلاد المغرب، وما يزيد هذه المهنة شرفا واعتزازا وقيمة هو ما ألفه الكتاب فيها وفي شروحاتها وقيمها وشروطها والمحمود فيها والضروري لها، فقد كانت موضوعا للعديد من الكتاب يقومونها وينظرون لها ببلاد المغرب الإسلامي.

الببليوغرافيا:

1 – عاشور بارودي، القيمة العلمية والحضارية للمخطوط، صناعة المخطوط الواقع والآفاق، دراسات وأبحاث، ع2، ج1،جمع وإعداد د/ عطاء الله فشار د/ لحرش أسعد المحاسن، أعمال الملتقى الدولي الأول آفريل 2012، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، ص 138.

2 – القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة، دار الكتاب المصرية، 1922، ج2، ص774.

3 – سورة الطور، الآية 1 -3

4 - الجبوري يحيى وهيب، الخط والكتابة في الحضارة العربية، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1994، ط1، ص43

5 - أيمن فؤاد السيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 1997، ص19

6 - الجبوري، المرجع السابق، ص267

7 – الجبوري، نفسه، ص 50

8 - القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص476

9 - الجبوري، المرجع السابق، ص274

10 - القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص 440

11 - الجبوري يحيى وهيب، المرجع السابق، ص284

12 – سورة العلق، الآية 3

13 – سورة لقمان، الآية 27

14 – الجبوري، المرجع السابق، ص 284

15 - المعز باديس التميمي الصنهاجي، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق نجيب مايل الهروي، عصام مكية، ط1، مجمع البحوث الاسلامية، ايران، 1409هـ ص ص 17-19

16 - سهيلة ياسين الجبوري، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق، المكتبة الأهلية في بغداد، مطبعة الزهراء، بغداد، **1962**. ص 128

17 - الجبوري يحيى وهيب، المرجع السابق. ص 290

18 - المعز باديس التميمي الصنهاجي، المرجع السابق، ص 31

19 – نفسه، ص 290

20 - سورة الكهف، الآية 109

21 – الجبوري يحيى وهيب، نفسه، ص 290

22 – عبد الستار الحلوجي، نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة، ص 66

23 – الجبوري يحيى وهيب، المرجع السابق. ص 192

24 – بسام الداغستاني، المخطوط العربي الإسلامي، حفظه ومعالجته وترميمه، الدورة العربية الخامسة لترميم المخطوطات، دبي، 2002، ص 26

25 – يوسف القصري، فن التجليد عند المسلمين، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد 1970، ص 9

26 – اعتماد القصري، فن التجليد عند المسلمين، المؤسسة العامة للآثار والتراث، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1979، ص14

27 – نفسه، ص15

28 – اعتماد يوسف القصيري، المرجع السابق، ص 17- 18 بتصرف.

29 – نفسه، ص15

30 – الجبوري، المرجع السابق، ص172 - 279

31 – اعتماد يوسف القصيري، المرجع السابق.

32 – نفسه

33 - بكر بن ابراهيم الاشبيلي، التيسير في صناعة التسفير. صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، مج 7-8، مدريد، 1959-1960. ص ص 11-13

34 - محمد سعيد القاسمي، جمال الدين القاسمي، خليل العظم، قاموس الصناعات الشامية، ت ظافر القاسمي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1،ص 28

35 - عبد الستار الحلوجي، الكتاب العربي المخطوط في نشأته وتطوره إلى القرن الرابع الهجري، علم المخطوط العربي – بحوث ودراسات، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الاصدار79، ط1، ص76

36 - **علي بن ابراهيم النلمة، الوراقة واشهر اعلام الوراقين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1990، ص 19**

37 - المعز باديس التميمي الصنهاجي، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب

38- عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، مج 7-8، مدريد، 1959-1960، ص 3

39 - محمد بن مبخوت، صنعة التجليد في التراث الجزائري، تدبير السفير في صناعة التسفير لابن ابي حميدة نموذجا، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا، جامعة أدرار، ديسمبر 2013، ع3، ص 191

40 - عمر أفا، محمد المغراوي، الخط المغربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2007